الفصل العاشر

يهود ضد الصهيونية

فى تناقض بَيِّن مع كافة توجهات المنظمات الدينية المتشددة، والأصولية، وتوجهات القوى السياسية الصهيونية، تبرز أصوات بعض الطوائف اليهودية التى تعلن ـ بقطع ووضوح ـ عن عدائها للبرامج والخطط التوسعية التى تمارسها إسرائيل، وتحتل بموجبها أراضٍ عربية، فلسطينية وغير فلسطينية، كما تتعاطف هذه الأصوات مع الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى فى الاستقلال وبناء دولته الحرة.

وعلى الرغم من أن الحجم العددى لهذه الطوائف محدود، وقدرتها على التأثير فى أفكار التجمعات اليهودية، أو فى القرار السياسى لإسرائيل متدنية، إلا أن الاهتمام الذى لقيته من الإدارة الفلسطينية ومن الأوساط المعادية للصهيونية له ما يبرره، فوجود جماعات يهودية، متدينة، ترفض الصهيونية، وتعارض سياستها، أمر بالغ الأهمية.

ومن أهم هذه الجماعات: «الطائفة السامرية» وطائفة «حراس المدينة» أو «ناطورى كارتا».

الطائفة السامرية:

تُعد الطائفة «السامرية» إحدى الجماعات البشرية الصغيرة، المغلقة، التى تعتنق ديانة منبثقة عن اليهودية، ويعيش أغلب أعضائها، الذين يصل عددهم إلى نحو ألف وخمسمائة نسمة، فى «جبل جرزيم» قرب «نابلس» شمالى الضفة الغربية، وهم يعلنون أنهم أحفاد اليهود الذى ظلوا فى «السامرة» بعد الغزو الآشورى وترحيل اليهود إلى «بابل»، فى عام ٧٢١ قبل الميلاد.

والطائفة السامرية إحدى الطوائف الحسيدية، المتشددة دينياً، التى تتمسك تمسكاً حرفياً بما يظنونه «أصول الشريعة»، وهم يقاطعون استخدام اللغة العبرية الحديثة فى الحياة اليومية، حيث يعتقدون فى قدسيتها، الأمر الذى يوجب عدم استخدامها إلا فى أغراض دينية (سامية)، كما يتحدثون اللغة العربية بلهجة سكان المنطقة المحلية.

وتولى الطائفة عملية إنجاب الأطفال أهمية قصوى، باعتبار أن كثرة النسل واجب مقدس، بل يعتبرون أن منع الحمل جريمة «يُعاقب عليها بالقتل»، وكذلك فالطلاق ظاهرة معدومة بين أفراد الطائفة.

تعتبر هذه الطائفة «جبل جرزيم» موقعاً مقدساً حسب معتقداتها، ولا تهتم كثيراً بأمر القدس، التى تمثل، على العكس، موقعاً مركزياً فى اهتمام الفتات والطوائف اليهودية والقوى السياسية الإسرائيلية الأخرى، وهذا أحد أوجه الاختلاف الرئيسية بين هذه الطائفة اليهودية عن غيرها، والوجه الآخر للخلاف هو أن أفراد الطائفة السامرية لا يؤمنون إلا بالعهد القديم فقط، الذى يعلنون أنهم يحتفظون بأقدم وأصح نسخة مكتوبة منه، على جلد ماعز منذ ٣٦٤٠ عام، بخط الكاهن «ناجى بن خضر بن هارون»، (أخى موسى) الذى أنجزها بعد وفاة «موسى» بثلاثة عشر عاماً فقط[١].

ومع قلة عدد أفراد الطائفة، إلا أنهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم «ورثة بنى إسرائيل» الفعليين، و«حماة التوراة الحافظين للوصايا العشر»، ويعتبرون أنفسهم الخلاصة المتبقية من «الأسباط العشرة»، «ولاد «يعقوب».

وترتكز ديانة الطائفة السامرية على أركان خمسة، هى:

١ ـ الاعتقاد بوحدانية الله.

٢ ـ وبأن التوراة هى الكتاب المُنَزَّل على «موسى».

(١) مازن حجازى، السامرية أصغر طائفة تعارض إسرائيل فى العالم، جريدة «الحياة الدولية»، لندن، ١٩٩٥/١٢/٢٥.

٣ ـ وبأن «موسى» هو أعظم الأنبياء.

٤ ـ وأن جبل «جرزيم»، هو القبلة ومركز الحج.

٥ ـ وبأن اليوم الآخر حق[١].

لا يتزاوج أفراد هذه الطائفة من خارجها، وهم محافظون فى مسلكياتهم إلى حد كبير، كما أن نساءهم يخفين وجوههن خلف حجب سميكة، ويمتنع عناصر الطائفة عن تناول أطعمة غيرهم، ويرفضون الاختلاط أو الانفتاح على الآخرين.

والغريب أنها فى عاداتها الدينية، تلتقى مع المسلمين فى عدة مسائل: كالطهارة وختان الذكر والوضوء والسجود والركوع، وغسل الميت ودفنه[٢].

وتاريخ الطائفة السامرية تاريخ صراع مستمر ضد اليهود (الآخرين) والرومان، وقد عاشت ـ فى ظل الفتح العربى بُحرِّية، حيث مارست طقوسها ومظاهر عقيدتها دون قيود، وهى تعارض اليهود والصهاينة فى احتلالهم للأرض العربية، وإعلانهم القدس كعاصمة لدولتهم، ومن هنا جاء قرار الإدارة الفلسطينية بتخصيص مقعد فى مجلس الحكم الذاتى لها.

«حُراس المدينة»، «ناطورى كارتا»:

«يهود فلسطين» هو الاسم الذى تطلقه على نفسها هذه الطائفة اليهودية المعادية للصهيونية عداءً شديداً، وهذه الجماعة التى تعيش فى حى «مائة شعاريم» بالقدس، تسمى بالآرامية «ناطورى كارتا» أى «حُراس المدينة»، ويتزعمها ويرأس خارجيتها الحاخام «موشى هيرش» الذى يحمل جواز سفر أمريكياً، ويرفض الاعتراف بإسرائيل أو حمل جنسيتها، ويتعاطف مع العرب والفلسطينيين، ويتمنى، من منطلقات دينية بحتة، زوال الدولة الصهيونية

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

وانهدام أركانها، ويرفع فى مقر طائفته علم فلسطين باعتباره علماً لطائفته.

وبعد توقيع اتفاقية «أوسلو» رافق ثلاثة من زعماء الجماعة رئيس السلطة الوطنية الفلسطينى «ياسر عرفات» لدى دخوله «أريحا»، تعبيراً عن انتمائها للوطن الفلسطينى، وأعلن «موشى هيرش»: «أننا نصفق لهذا الحدث الذى يتوج كفاح ربع قرن ضد الاحتلال. إنه واجب دينى على أى يهودى أن يشارك شخصياً فى هذا العيد الذى يسجل بداية الهزيمة للصهاينة»[١].

وفى خطوة موازية، ذات دلالة، اختار «ياسر عرفات» «موشى هيرش» وزيراً للشئون اليهودية فى الإدارة الفلسطينية الجديدة، إدارة الحكم الذاتى»، تقديراً لدور هذه الجماعة التى تجاهر بعدائها للصهيونية ومناصرتها لكفاح الشعب الفلسطينى من أجل الاستقلال والحرية.

وتعتبر هذه الطائفة أن الصهيونية «تمثل الخطيئة القاتلة ضد الرب ومصير اليهود»[٢] ويرون فيها نقيضاً كاملاً لليهودية الحقة. «إن الدولة اليهودية زيفٌ كامل»[٣].

وهذه الطائفة تقاطع الدولة الصهيونية ورموزها وشاراتها وأعيادها وثقافتها وتقاليدها، وتعتبر أن التعاون مع الدولة «نوع من الضلال والكفر الدينى، والمشاركة فى الانتخابات عملاً وثنياً، ومساعدات الحكومة رشاوى لتغيير مواقفنا»[٤]. وتخرج مظاهرات أعضاء الطائفة، فى نيويورك، يوم ١٥ مايو (ذكرى إعلان قيام الدولة الصهيونية المغتصبة» لكى يعبروا عن احتجاجهم عليها، وهم يقاطعون حائط المبكى، ويهجرون القدس فى الأعياد والمناسبات التى يتجمع اليهود فيها حوله، كعيد الفصح، وعيد المظلة.

ويستخدم أعضاء «ناطورى كارتا» اللغة اليديشية فى معاملاتهم اليومية،

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٤/٤/٥.

(٢) ديفيد لانداو، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٢٦.

ويقصرون استخدام العبرية على الصلاة والتعليم الدينى، ولها «مجلس أعلى» مكون من سبعة أفراد، ولمرشدهم الفلسفى، الحاخام «متسالبيوم» مؤلف شهير اسمه «ضد الصهيونية».

كما يمتنع أعضاء الطائفة عن أداء الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى، ومن جهتها تمتنع الدولة الصهيونية عن تجنيد أفراد «ناطورى كارتا»، لأنهم حسبما يقول الحاخام «هيرش»:

«إذا أعطونا السلاح سنطلق عليهم النار، لماذا يفكرن فينا وهم لا يجندون العرب، ونحن أكثر كراهية لهم من العرب»(١).

وتعيين الحاخام «هيرش» وزيراً فى الإدارة الفلسطينية لسلطة الحكم الذاتى، لم ينشأ من فراغ، إنما جاء تتويجاً لتاريخ طويل من العلاقات الوديّة بين الطرفين، فقد اعترفت الجماعة بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى للشعب الفلسطينى، وأيدت تشكيل الحكومة الفلسطينية فى المنفى عام ١٩٨٨، وفى مؤتمر «مدريد»، (للسلام فى الشرق الأوسط)، الذى انعقد عام ١٩٩١ شارك «حاييم إسحق فريمان»، أحد نشطاء الطائفة فى نيويورك، كعضو رسمى فى الوفد الفلسطينى الاستشارى فى المفاوضات، وحينما انفجرت وقائع انتفاضة الشعب الفلسطينى فى مواجهة سلطة الاحتلال الإسرائيلى المغتصب، وزعت الطائفة مساعدات عينية على ضحايا الانتفاضة الفلسطينية فى مستشفيات القدس، وأرسلت دعمها لعائلات المعتقلين من المناضلين الفلسطينيين، مرفق بها رسائل تضامن: «من اليهود الفلسطينيين المناهضين للصهيونية الأصولية، تعبير عن التعاطف والمودّة تجاه أخوتهم الفلسطينيين»(٢).

ويرى الدكتور «رشاد الشامى» أن «ناطورى كارتا» التى تمثل «طبعة جديدة» من «الصيغة السائدة للأرثوذكسية الدينية فى إسرائيل»(٣)، قد نمت

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٢٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣١.
(٣) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٨.

داخل «اليشوف» القديم فى القدس كصيغة مغالية فى التشدد من داخل حزب «أجودات إسرائيل»، (ألترا أجودات)، وقد انشقت عن ذلك الحزب عام ١٩٣٥ لاتجاه «أجودات إسرائيل» إلى التصالح مع المواقف الصهيونية للحركة السياسية اليهودية، وخصوصاً فى السعى من أجل إنشاء «حاخامية رئيسية» موحدة فى فلسطين، وهذه الطائفة تتكون من جماعات خمس تتحد فى الموقف المعادى للحركة الصهيونية ولدولة إسرائيل باعتبارها «ثمرة الغطرسة الآثمة، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الله وإرادته بإعلانهم إقامة دولة إسرائيل، بدلاً من انتظار «المسيح المنتظر»، المخول وحده إقامة دولة إسرائيل»[١].

ومن هذا المنطلق رأت «ناطورى كارتا» أن «إعلان استقلال إسرائيل»، (أى إعلان قيام الدولة المغتصبة على جزء من التراب العربى الفلسطينى فى ١٥ مايو ١٩٤٨)، قد «نقَضَ أسس قوانين الشريعة»[٢]، وطالبت بوضع القدس تحت الوصاية الدولية، وبإصدار جوازات سفر من هيئة الأمم المتحدة لليهود المتدينين الراغبين فى ذلك، وعَبَّرَ أعضاء الطائفة عن استعدادهم لمغادرة القدس إلى موقع آخر يستطيع أفرادها العيش فيه «بموجب التوراة والشريعة»[٣]، كما أعلنوا عن استعدادهم للعيش فى ظل سلطة فلسطينية وطنية، وأدانوا الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، وأيدوا الكفاح المسلح للشعب الفلسطينى* كما طالبوا «جورباتشوف»، «بوقف سيل الهجرة إلى إسرائيل»[٤] فى مطلع عام ١٩٩٠.

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣١٨.

(٣) المصدر نفسه.

* يقول الحاخام هيرش: نحن نؤيد حق الفلسطينيين في استرجاع ما أُخذ منهم بواسطة القوة ، المصدر نفسه، ص: ٣٢١.

(٤) المصدر نفسه.

واللافت أن جماعة «ناطورى كارتا» أعلنت عن استيائها لاعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل، وعَبَّرَتْ عن اعتراضها على اعتدال «عرفات» فى مواجهة الدولة الصهيونية؛[1]، كما ثَمَّنَتْ إيجابياً مواقف «الخمينى» المناوئة للصهيونية، وأرسلت وفداً للعزاء عقب وفاته، وحينما تفجرت وقائع أزمة احتلال العراق للكويت وحرب «عاصفة الصحراء»، أيدت الطائفة «صدام حسين»، وأرسلت عن طريق الفلسطينيين، رسالة كتبها الحاخام «هيرش» إلى وفود كل الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، ذكر فيها «أن الرب يريد أن يطرد الصهاينة من الأرض المحتلة، ليخفف من غضبه على الأمة اليهودية، ولكن الأمريكيين متشبثون بالإبقاء عليهم فى تلك الأرض، ولذلك فإن الرب اختار «صدام حسين» للانتقام منهم، وهذا فى صالح الأمة اليهودية والعالم أجمع»[2].

وهذا الموقف يتسق تماماً مع فكر الطائفة والحاخام «هيرش» الذى يؤمن بأن «الصهيونية تتعارض تعارضاً كاملاً مع اليهودية، ـ فالصيهونية ـ تريد أن تُعَرِّفَ الشعب اليهودى باعتباره وحدة قومية، وهذه هرطقة، فقد تلقى اليهود الرسالة من الرب، لا لكى يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدسة ضد إرادة سكانها، فإذا فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائج فعلتهم، والتلمود يقول: «إن هذا الانتهاك سوف يجعل من لحمهم فريسة للسباع فى الغابة، وأن المذبحة الكبرى ستكون نتيجة من نتائج الصهيونية»[3].

وهو إذ يرفض الصهيونية، ويدينها، يعلن انتماءه لفلسطين وشعبها وتاريخها وتراثها:

فـ «نحن الحريديم نُعَرِّفُ أنفسنا كيهود فلسطينيين، إن الصهيونية

(١) المصدر نفسه.

(٢) ديفيد لانداو، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٢٣.

(٣) مذكورة فى د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٢٣.

تدنيس للقدسية ومناقضة للديانة اليهودية لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين ـ إننا لا نزور حائط المبكى، أو البلدة القديمة، أو أية منطقة أخرى، جرت السيطرة عليها بالقوة، لأن ذلك يُعتبر تجاوزاً»، ولذلك فإن طائفة «ناطورى كارتا» ترفض أن تكون أداة فى يد دعاة الصهيونية لقهر الفلسطينيين:

.. «لأنهم يريدون انضمامنا إلى آلة الحرب ضد العدو الذى أوجدوه خدمةً لمصالحهم، ولتوسيع سيطرتهم على مناطق تابعة لشعوب أخرى، وأن هؤلاء الأشخاص ـ يقصد الفلسطينيين ـ تم الإعلان عنهم كأعداء، لأنهم يُشكلون عقبة أمام المطامع الإقليمية الصهيونية، ونحن اليهود الفلسطينيين عشنا بسلام خلال مئات السنين مع هؤلاء الأعداء للصهيونية، ونحن نطمح باستمرار هذه العلاقة، رغم المعارضة الصهيونية»[1].

■■■

(١) المصدر نفسه، ص ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

«إن مصير الدولة يرتبط بمصير يهود العالم، والعكس بالعكس.. ومن المشكوك فيه أن تستطيع إسرائيل البقاء على قيد الحياة، وألاّ ينقرض يهود «الدياسبورا» بواسطة قتل الرحمة أو الاختناق، دون الأواصر المتبَادلة التى تشد إسرائيل إلى مجتمعات «الدياسبورا»..

«بن جوريون»

obeikan.com